الروح في القرآن

إعداد: الشيخ علي جمعة

يبحث العلامة الطباطبائي قدس سره نظرة القرآن الكريم الى الروح، وكيف تناولت الآيات المختلفة هذا المفهوم الدقيق، مستعرضاً الاستعمالات القرآنية المختلفة لهذا اللفظ، وهدف كل استعمال، معتمداً في كل ذلك على منهج تفسير القرآن بالقرآن، مقابلاً بين الآيات القرآنية الكريمة في معرض تناولها لهذا المصطلح.

المتبادر من كلمة الروح في كلامه تعالى" ما هو مبدأ الحياة"، ولم يقصرها في الإنسان أو في الإنسان والحيوان فحسب بل أثبتها في غيرهما كما في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مريم:١٧، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى:٥٢ إلى غير ذلك. فللروح مصداق في الإنسان ومصداق في غيره.

كلمة الايجاد

والذي يصلح أن يكون معرفاً لها في كلامه تعالى ما في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الإسراء:٨٥، حيث أطلقها إطلاقا وذكر معرفاً لها أنها من أمره، وقد عرف أمره بقوله: ﴿إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون..﴾ يس:٨٣ فبين أنه كلمة الايجاد التي هي الوجود من حيث انتسابه إليه تعالى وقيامه به لا من حيث انتسابه إلى العلل والأسباب الظاهرية.

وبهذه العناية عد المسيح عليه السلام كلمة له وروحاً منه إذ قال: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء:١٧١ لما وهبه لمريم عليها السلام من غير الطرق العادية ويقرب منه في العناية قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران:٥٩. وهو تعالى وإن ذكرها في أغلب كلامه بالإضافة والتقيد كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الحجر ٢٩، وقوله: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ السجدة:٩، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مريم:١٧، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النساء:١٧١ وقوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ البقرة:٨٧ إلى غير ذلك إلا أنه أوردها في بعض كلامه مطلقة من غير تقييد كقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ القدر:٤ وظاهر الآية أنها موجود مستقل وخلق سماوي غير الملائكة.

الروح المتعلقة بالانسان

وأما الروح المتعلقة بالإنسان فقد عبر عنها بمثل قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ وأتى بكلمة ﴿من﴾ الدالة على المبدئية وسماه نفخاً وعبر عن الروح التي خصها بالمؤمنين بمثل قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة:٢٢ فأتى بالباء الدالة على السببية وسماه تأييداً وتقوية وعبَّر عن الروح التي خصها بالأنبياء بمثل قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ البقرة:٨٧ فأضاف الروح إلى القدس وهو النزاهة والطهارة وسماه أيضا تأييداً. وبانضمام هذه الآيات إلى مثل آية سورة القدر يظهر أن نسبة الروح المضافة التي في هذه الآيات إلى الروح المطلقة المذكورة في سورة القدر، نسبة الإفاضة إلى المفيض، والظل إلى ذي الظل بإذن الله.

الروح المتعلقة بالملائكة

وكذلك الروح المتعلقة بالملائكة من إفاضات الروح بإذن الله، وإنما لم يعبر في روح الملك بالنفخ والتأييد كالإنسان بل سماه روحا كما في قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ وقوله: ﴿قل نزله روح القدس﴾ النحل:١٠٢، وقوله: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ الشعراء:١٩٣ لأن الملائكة أرواح محضة على اختلاف مراتبهم في القرب والبعد من ربهم، وما يتراءى من الأجسام لهم تمثلات كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم:١٧ وقد تقدم الكلام في معنى التمثل في ذيل الآية بخلاف الإنسان المخلوق مؤلفاً من جسم ميت وروح حية فيناسبه التعبير بالنفخ كما في قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الحجر:٢٩.

اختلاف الروح

وكما أوجب اختلاف الروح في خلق الملك والإنسان، اختلاف التعبير بالنفخ وعدمه كذلك أوجب اختلاف الروح من حيث أثرها وهو الحياة شرفاً وخسة، اختلاف التعبير بالنفخ والتأييد وعد الروح ذات مراتب مختلفة باختلاف أثر الحياة.

تفسير الميزان – السيد الطباطبائي – ج ٢٠ – ص ١٧٣ – ١٧٧

«الفجر»
سورة الإمام الحسين عليه السلام

تنسيق: جعفر سويد

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتاب (ثواب الأعمال) عن الإمام الصادق عليه السلام حثّه على تلاوة سورة الفجر في الصلوات، وأنّها سورة الإمام الحسين عليه السلام.
بين يديك، قبساتٌ من فضائل هذه السورة المباركة، ومضامينها، وبعض ما رُوي حولها.

«تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي الحويزي»:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ومَن قرأها في ليالي عشر غُفر له، ومن قرأها ساير الأيام كانت له نوراً يوم القيامة». وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنها سورة الحسين بن عليٍّ عليه السلام، مَن قرأها كان مع الحسين عليه السلام يومَ القيامة في درجته من الجنّة، إنّ الله عزيز حكيم».

محتواها

«الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل»: «..وكبقية السور المكيّة، فسورة الفجر ذات آيات قصار وأسلوب واضح، ومصحوب بالإنذار والتحذير، وتقدّم لنا الآيات الأولى أقساماً نادرة في نوعها لتهديد الجبّارين بالعذاب الإلهيّ. وتنقل لنا بعض آياتها ما حلّ ببعض الأقوام السالفة ممّن طغوا في الأرض وعاثوا فساداً (قوم عاد، وثمود، وفرعون)، وجعلهم عبرةً لأُولي الأبصار، ودرساً قاسياً لكلّ من يرى في نفسه القوّة والإقتدار من دون الله.

تنقل لنا بعض آياتها ما حلّ ببعض الأقوام السالفة ممّن طغوا في الأرض وعاثوا فساداً (قوم عاد، وثمود، وفرعون)، وجعلهم عبرةً لأُولي الأبصار، ودرساً قاسياً لكلّ من يرى في نفسه القوّة والإقتدار من دون الله.

ثمّ تشير باختصار إلى الامتحان الربانيّ للإنسان، وتلومه على تقصيره في فعل الخيرات، وفي آخر ما تتحدّث عنه السورة هو "المعاد" وما سينتظر المؤمنين ذوي النفوس المطمئنّة من ثواب جزيل، وأيضاً ما سينتظر المجرمين والكافرين من عقاب شديد.

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنّها سورة الحسين بن عليّ، مَن قرأها كان مع الحسين بن عليّ يوم القيامة في دوحته من الجنة».

يُمكن أن يكون وصف السورة بسورة الإمام الحسين عليه السلام بلحاظ أنّه أفضل مصاديق ما جاء في آخر آياتها، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الأخيرة من السورة: إنّ ﴿..النفس المطمئنة..﴾ هو الحسين بن عليّ عليه السلام.

أو قد يكون بلحاظ ﴿..ليالٍ عشر..﴾ المقسوم بها في أوّل السورة، حيث أنّ من ضمن تفاسيرها أنها: ليالي محرم العشر، المتعلّقة بشهادة الإمام الحسين عليه السلام. وعلى أيّة حال، فثوابها لِمن تبصّر في قراءتها وعمل على ضوئها.

وقد خصّ بعض المُفسّرين سبب نزول هذه الآيات في حمزة سيد الشهداء رضوان الله عليه، ولكن بلحاظ كون السورة مكيّة، فيُمكن اعتبار ذلك أحد تطبيقات الآيات وليس شأناً للنزول، كما هو الحال في ما ذكرنا في أول السورة بشأن الإمام الحسين عليه السلام».

* «وتنتقل السورة في آخر مطافها إلى تلك النفوس المطمئنة ثقةً بالله وبهدف الخلق، بالرغم من معايشتها في خضّم صخب الحياة الدنيا، فتخاطبهم بكلّ لطف ولين ومحبّة، حيث تقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى

فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر: ٢٧-٣٠. فهل ثمّة أجمل وألطف من هذا التعبير! تعبيرٌ يحكي دعوة الله سبحانه وتعالى لتلك النفوس المؤمنة، المُخلصة، المُحبَّة والواثقة بوعده جلّ شأنُه... دعوتُها لتعود إلى ربها ومالكها ومُصلِحِها الحقيقيّ.. دعوةٌ مُفعمةٌ برضا الطرفين، رضا العاشق على معشوقه، ورضا المعشوق على عاشقه.. وتتوّجُ تلك النفوس الطاهرة بتاج العبودية، لتدخل في صف المقرّبين عند الله، ولتحصل على إذن دخول جنان الخلد، وما قوله تعالى: "جنّتي" إلا للإشارة إلى أنّ المُضيف هو الله جلّ جلاله.. فما أروعَها من دعوة! وما أعظمَه وأكرمَه من داعٍ! وما أسعدَه من مدعوّ».

ممّا رُوي حولها

١ - «تفسير القمي، علي بن إبراهيم»:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَ ..﴾ الفجر:٢٣، سُئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بذلك أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيرُه إذا برز للخلائق وجمع الأوّلين والآخرين، أُتِيَ بجهنّم تُقاد بألف زمام، أخذ بكلّ زمام ألفُ مَلكٍ تقودها من الغِلاظ الشِداد، لها هدّةٌ وغضبٌ وزفيرٌ وشهيق، وإنها لَتَزْفُر الزفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأَهْلَكَت الجَمع، ثم يخرج منها عُنقٌ فيحيط بالخلائق؛ البَرّ منهم والفاجر.

فما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبياً إلا ينادي: ربّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيَّ الله تُنادي: أُمّتي أُمّتي، ثمّ يُوضع عليها الصراطُ أدقَّ من حدِّ السيف، عليه ثلاث قناطر، فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرَّحِم، والثانية فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها ربُّ العالمين لا إله غيره، فيُكلَّفُون المَمرّ عليها فيحبسَهُم الرَّحِمُ و الأمانة، فإنْ نجوا منها حَبَستْهم الصلاة، فإنْ نجوا منها كان المُنتهى إلى ربِّ العالمين، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾، والناس على الصراط، فمُتَعَلّقٌ بِيَد، وتزول قدمٌ وتستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون: يا حليمُ اعفُ واصفح وعُدْ بفضلك وسلِّم سلِّم، والناس يتهافتون في النار كالفراش فيها، فإذا نجا ناجٍ برحمة ومرَّ بها فقال: الحمد لله وبنعمته تتمّ الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجّاني منك بعد أَيَاسٍ بِمَنِّه وفضلِه، إنّ ربنا لَغفورٌ شكور».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين، وارغبوا فيها رَحِمَكم الله»

٢- «بحار الأنوار، العلامة المجلسي»:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين، وارغبوا فيها رَحِمَكم الله**»، فقال له أبو أسامة وكان حاضر المجلس: كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصّة؟ فقال: «**ألا تسمعُ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، إنّما يعني الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما، فهو ذو النفس المُطمئنّة الراضية المرضيّة، وأصحابه من آل محمّد صلوات الله عليهم الراضون عن الله يوم القيامة، وهو راضٍ عنهم، وهذه السورة في الحسين بن عليٍّ عليه السلام وشِيعتِه، وشيعةِ آل محمّد خاصّة، فَمَن أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنّة، إنّ الله عزيزٌ حكيم**».

٣- «بحار الأنوار، نقلاً عن الكافي للشيخ الكليني»:

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: هل يُكرَه المؤمن على قبض روحه؟ قال: «**لا، إذا أتاه ملكُ الموت لِقَبض روحه جزع لذلك، فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع، فَوَالّذي بعث محمداً بالحقّ لأَنا أَبَرُّ بك وأَشفقُ عليك من الوالد البرِّ الرحيم بولدِه، افتح عينيك وانظر، فيتمثّلُ له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة صلوات الله عليهم فيقول: هؤلاء رفقاؤك، فيفتح عينيه وينظر إليهم ثم تُنادى نفسه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ إلى محمّد وأهل بيته عليهم السلام ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ ..﴾ بالولاية، ﴿..مَّرۡضِيَّةٗ﴾ بالثواب، ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ يعني محمّد وأهل بيته، ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾، فما من شيءٍ أحبُّ إليه من إنسلال روحه واللّحوق بالمنادي**».